مجلة الناقد للدراسات السياسية | المجلد: 06/ العـدد: 02 (2022)، ص 324-339

تداعيات الهجرة غير الشرعية على دول شمال افريقيا وانعكاساتها على دول العبور في ظل ازمة فيروس كورونا –كوفيد 19–

The repercussions of illegal immigration on North African countries and its repercussions on transit countries in light of the crisis of the Corona virus - Covid 19–

زوزو زوليخة

جامعة محمد خيضر –بسكرة، (الجزائر)، zouleikha.zouzou@univ-biskra.dz

تاريخ الاستلام: 2022/04/14 تاريخ القبول: 2022/08/23 تاريخ النشر: 2022/10/10

ملخص:

يتزايد اعداد المهاجرين من الدول الافريقية الى القارة الاوروبية يوما بعد يوم، في الوقت الذي يجتاح فيه العالم اشد الاوبئة خطورة انتشار فيروس كورونا –كوفيد –19– ، وعليه جاءت هذه الدراسة لتسليط الضوء على ظاهرة الهجرة غير الشرعية من دول شمال افريقيا الى اوروبا، ، والتطرق لابرز التحديات التي تواجه افريقيا في مواجهة هذه الجائحة، لنصل لنتائج مفادها ان كل الدول سواء دول المصدر أوالعبور تسعى لمواجهة الهجرة غير الشرعية تفاديا لازمات اخرى ومضاعفات تعود عليها جراء ازمة فيروس كورونا– كوفيد19– عن طريق اغلاق حدودها والموانئ والملاحة كحل لهذه الكارثة.

كلمات مفتاحية: الهجرة غير الشرعية، انعكاسات الهجرة ،دول شمال افريقيا، –كوفيد19–، مواجهة الظاهرة.

Abstract:

The number of immigrants from African countries to the European continent is increasing day by day, at a time when the world is sweeping the most dangerous epidemics of the spread of the Corona virus - Covid-19-, and accordingly this study came to shed light on the phenomenon of illegal immigration from North African countries to Europe,, And addressing the most prominent challenges facing Africa in the face of this pandemic, to reach the conclusions that all countries, whether countries of origin or transit, seek to confront illegal immigration in order to avoid other crises and complications due to the crisis of the Corona virus - Covid 19 - by closing their borders, ports and navigation as a solution to this disaster.

Keywords: illegal immigration, repercussions of immigration, North African countries, -Covid 19-, confronting the phenomenon

المؤلف المرسل: زوزو زوليخة، **الإيميل**: zouleikha.zouzou@univ-biskra.dz

مقدمة:

تعتبر الهجرة غير الشرعية ظاهرة اجتماعية منتشرة في الكثير من دول العالم، وشهدت في الاونة الاخيرة انتشارا واسعا وأصبحت تهدد المجتمعات لحجم المخاطر التي تسببها، فهي الحركة الطبيعية للبشرية منذ بدايتها شغلت الرأي العام والحكومات باعتبارها واحدة من اخطر الظواهر تأثيرا على الدول في الوقت الحالي، إلا أنه لم يمنع انتشار وباء كورونا المستجد في الاونة الأخيرة وما صاحبه من فرض قيود على حركة التنقل بين الدول ووضع التدابير الاجرائية، ووقف الانشطة الاقتصادية في معظم دول العالم من كبح جماح المهاجرين غير الشرعيين من دول شمال افريقيا إلى دول اوروبا، ما أدى إلى ظهور العديد من المواقف للدول المستقبلة سواء التي خرج منها المهاجرون أو تلك الدول التي استقبلتهم.

حظيت هذه الظاهرة باهتمام العديد من المنظمات والدول في الوقت الراهن الذي تعيشه الدول جراء انتشار فيروس كورونا المستجد وما يشكله من تحديات تواجهها افريقيا في مواجهة الهجرة غير الشرعية، وتعد دول شمال افريقيا دول عبور ومنشأ للهجرة غير الشرعية لعدة اسباب اهمها: انها مركز عبور لليد العاملة الافريقية المهاجرة الى اوروبا، اضافة الى العديد من الدوافع السياسية والاقتصادية تأتي في مقدمة هذه الأسباب، اضافة لتميز المجتمعات الاوروبية بوجود نوع من الاستقرار السياسي، وعدم حدوث الانقلابات العسكرية، وعدم انتشار الفوضى، واعتبارات ذات صلة وثيقة بمستويات الإشباع المادي والمعنوي تعمل على جذب المهاجرين بصفة اساسية، وبالتالي الحصول على العديد من المزايا التي يصعب على المهاجر الحصول عليها في بلده الأصلي فيضطر المهاجر الأفريقي إلى مواجهة أخطار وأهوال البحر الأبيض المتوسط في سبيل تحقيق رضاه عن وضعه الاقتصادي والاجتماعي حتى في ظل انتشار جائحة كورونا كوفيد-19-.

وفي هذا السياق كشفت العديد من الدراسات الحديثة التي أجريت في العديد من الدول بما فيها الجزائر وباقي الدول عن ميل واضح نحو السعي لمواجهة هذه الظاهرة في ظل انتشار الوباء باتخاذ اجراءات وتدابير وقائية لمنع التنقل خوفا من تفشي وباء كورونا، ما يشكل تحديا باتت القارة الافريقية تسعى لمواجهته بكل السبل، انطلاقا مما تقدم يعالج موضوع الدراسة اشكالية مفادها ماهي ابرز تداعيات الهجرة غير الشرعية على دول شمال افريقيا ودول العبور، وماهي التحديات التي تواجه افريقيا في مواجهة جائحة كورونا؟

ويتفرع على هذه الاشكالية الفرضيات التالية:

-ماهي انعكاسات الهجرة غير الشرعية على دول العبور في ظل جائحة كورونا؟

-وماهي الاثار المترتبة على دول العبور؟

-ماهي الاستراتيجيات التي تتبعها دول افريقيا لمواجهة تداعيات فيروس كورونا؟

وتهدف هذه الدراسة لابراز ظاهرة الهجرة غير الشرعية في ظل انتشار فيروس كورونا –كوفيد19- وتداعياتها على دول شمال إفريقيا وما تخلفه من انعكاسات على دول العبور وأثارها في ظل انتشار فيروس كورونا، والعوامل التي تفسر تزايد وتيرة انتشارها، والتطرق ،اضافة الى دراسة السبل المتبعة لاحتوائها، والانعكاسات التي تخلفها هذه الظاهرة وتأثيراتها (اجتماعيا، أمنيا.....).

أولا: التأصيل النظري لظاهرة الهجرة غير الشرعية :

الهجرة ظاهرة انسانية قديمة عرفتها البشرية بصور متعددة، ولأسباب كثيرة تختلف من دولة الى اخرى، وتعددت المصطلحات المستعملة في تسميتها فمثلا يطلق مصطلح الحراقة والحراق في وسط الإعلام المغاربي للإشارة إلى الهجرة غير الشرعية، فهما مصطلحان متداولان بكثرة بين رجال الصحافة بصفة خاصة. فحسب منصف وافي، أصل مصطلح "الحراق أو الحرقة " مغاربي ويقصد بالحراق الشخص الذي خالف القانون من حيث الهجرة، كما يقصد به الشخص المهاجر غير الشرعي عن طريف البحر بواسطة المركبات الصغيرة انطلاقا من افريقية الشمالية ليصل إلى الشاطئ الأوروبي، أين يتم الدخول خلسة[1].

1. تعريف الهجرة غير الشرعية:

تعتبر الهجرة غير الشرعية، او غير القانونية، او السرية ظاهرة عالمية موجودة منذ القدم وتعاني منها كل الدول[2]، سواء الدول المصدرة للمهاجرين او الدول المستقبلة وحتى دول العبور، لذا نوجز اهم التعاريف لتوضيح مفهومها.

تعرف الهجرة غير الشرعية على أنها الهجرة التي تتم بطرق غير قانونية نظرا لصعوبة السفر وصعوبات الهجرة غير الشرعية التي تتعقد فيها اجراءات السفر مما يجعل من الهجرة الشرعية امرا مستحيلا".[3].

اما الاتحاد الاوروبي فيستخدم مصطلح الهجرة غير الشرعية مفادها في السياسة العامة الاوروبية انها ظاهرة متنوعة تشتمل على جنسيات دول مختلفة يدخلون اقليم الدولة العضو بطريقة غير شرعية عن طريق

البر او البحر او الجو، بما في ذلك مناطق العبور في المطارات، ويتم ذلك بوثائق مزورة او بمساعدة شبكات الجريمة المنظمة من مهربين وتجار، وهناك عدد من الاشخاص الذين يدخلون بصورة قانونية وبتاشيرة صالحة لكنهم يبقون او يغيرون غرض الزيارة فيبقون دون الحصول على موافقة السلطات واخيرا هناك مجموعة من طالبي اللجوء السياسي الذين لا يحصلون على موافقة على طلبهم لكنهم يبقون في البلاد..[4]

وتعرف المفوضية الدولية لشؤون الهجرة، الهجرة غير الشرعية هي دخول او اجتياز بلد دون موافقة سلطات ذلك البلد، وبدون ان تتوفر في الشخص العابر الشروط القانونية للمرور عبر الحدود، لعدم حيازته على الوثائق اللازمة للسفر او الاعتماد على تزويرها،واستخدام المنافذ غير الشرعية للمرور بغية التهرب من الرقابة الجمركية او الأمنية سواء كانت برا بحرا، او جوا[5].

وعليه يظهر ان الهجرة هي التسلل عبر الحدود البرية والبحرية، والإقامة بدولة اخرى، وتتحول فيما بعد الى غير مشروعة، وهو مايعرف بالإقامة غير الشرعية وتحمل في مضمونها الهجرة السرية او غير المنظمة والتي تعني الاجتياز غير القانوني للحدود دخولا او خروجا من التراب الوطني للدولة[6].

2. الهجرة وظهور فيروس كورونا في دول شمال افريقيا

الهجرة غير الشرعية نحو اوروبا منتشرة في كامل القارة الإفريقية لكنها، ترتفع كلما اتجهنا شمالا مما يجعل حصة الدول المغاربية منها كبيرة مع وجود بعض الفروق بينها؛ اذ يأتي المغرب على راس القائمة ثم تأتي الجزائر ثم تونس وهي معادلة تنطبق على هجرة العمال[7]، والملاحظ انها تواصلت موجات الهجرة غير الشرعية خلال فترات الحجر الصحي حضر التجوال الذي فرضته دول شمال افريقيا كالجزائر وتونس وليبيا ومصر، توقيا من انتشار وباء كوفيد 19 الذي صنفته منظمة الصحة العالمية وباءا عالميا[8]، و بدأ انتشاره في دول شمال القارة الأفريقية وتحديدا مصر والمغرب وتونس والجزائر، قبل أن يبدأ في الانتقال إلى بقية بلدان القارة الأفريقية، وإن كانت المؤشرات كافة تتجه إلى أن المرض سينتشر في ربوع القارة مع وجود العمال الصينيين كون الصين هي مصدر هذا الفيروس، إلا أن ما لفت الانتباه أن انتقال هذا الوباء إلى دول القارة جاء مع القادمين من الدول الأوروبية[9].

وتظهر تقارير ان تدفق المهاجرين غير النظاميين إلى البلدان الأوروبية، انخفض بنسبة 90 في المائة مقارنة مع معدل الأوقات العادية، نتيجة إغلاق الموانئ والحدود بسبب وباء كورونا، لكن في المقابل،

وصلت حوالي 4500 عملية عبور غير شرعية من قبل مهاجرين إلى حدود الاتحاد الأوروبي في مارس الماضي وأشار المتحدث باسم "وكالة حرس الحدود الأوروبية إلى وصول 200 شخص بشكل غير منتظم في مارس، بانخفاض قدره 90% مقارنة مع نفس المدة السنة الماضية وعلل ذلك بشح وجود قوارب الإنقاذ في البحر الأبيض المتوسط، بعد إغلاق الدول المطلة على البحر موانئها رسميا بسبب انتشار الوباء [10]، كما ان انتشار فيروس كورونا قلب الامور رأسا على عقب في حركة الهجرة واللجوء فقد بدأ مهاجرون بالعودة من اوروبا الى افريقيا بسبب تداعيات تفشي فيروس كورونا، فقد كشف تقرير داخلي "للمفوضية الاوروبية" ان مهربي البشر ينظمون رحلات للمهاجرين غير النظاميين الهاربين من كوفيد 19 وتتلخص الاسباب في عودتهم لسبب صحي والأخر اقتصادي[11].

والبحث عن فرص العمل في مجالات الصناعة والتجارة والخدمات هي السمة الغالبة قبل ازمة كورونا والداعية لخوض فكرة الهجرة، حيث يزدهر الوضع الاقتصادي في أي بلد تتوفر فيه الموارد الطبيعية التي تساعد على نشؤ المصانع وتطورها، وفي مثل هذه البلدان يكون الطلب على الأيدي العاملة وذوي الاختصاصات في ازدياد مستمر، وتبدأ الهجرة عادة بالشباب ثم تتوسع على نطاق العائلات والأقارب[12]، كلها عوامل ودوافع تجذب المهاجرين لخوض هذه التجربة رغبة في تحسين اوضاعهم المعيشية التي عاشوها في اوطانهم الأصلية، الا ان هذه العوامل قد بدات في التراجع في الوضع الذي تعيشه الدول في ظل وباء كوفيد19.

3. التحديات التي تواجه دول شمال افريقيا في انتشار وباء كوفيد 19

فاقم تفشّي فيروس كورونا المستجدّ في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا التحديات الكثيرة التي تواجهها بلدان المنطقة. فلم تكشف الجائحة عن مكامن ضعف هيكلية في قطاع الرعاية الصحّية فحسب، بل سلّطت الضوء أيضاً على مشاكل الحوكمة غير الفعّالة ومستويات الأمن البشري المنخفضة والنماذج الاقتصادية المتزعزعة [13].

وما يلفت الانتباه في الوضع الراهن الوضع الذي تعيشه كل دول شمال افريقيا والدول الاوروبية نتيجة تراجع اقتصادياتها جراء انتشار وباء كوفيد 19، وتوجه أعداد من المهاجرين غير الشرعيين بشكل ملفت للهجرة السرية، ما يهدد القارة الأفريقية والدول الاوروبية المستقبلة[14]، في الوقت الذي طرح اعلان السلطات الإيطالية وصول 100 مهاجر غير شرعي جزائري إلى سواحل جزيرة سردينيا، وتمكن قوات خفر

السواحل الجزائرية من إحباط محاولات 123 شاباً الهجرة بطريقة غير شرعية نحو سواحل إيطاليا وإسبانيا، علامات استفهام حول اسباب هذا الفرار نحو المجهول[15].

الامر الذي دعا الى ازدياد المخاوف الإقليمية من حدوث أزمات اجتماعية واقتصادية وإنسانية في المنطقة، التي لا تتوافر فيها معدات طبية حديثة لمواجهة أزمة كورونا الصحية عالميًّا، فضلًا عن غياب الدعائم الاقتصادية والكوادر البشرية لمواجهة انتشار وباء لم يجد له العالم بعد علاجا ناجعا لمنع انتشاره وتمدده نحو دول جديدة افريقيا وعالميًّا[16].

وأشارت وكالة الأنباء الإيطالية إلى نقل المهاجرين إلى مركز استقبال المهاجرين السريين، حيث أُخضِعوا لعملية عزل صحي لمدة 14 يوماً لتفادي حدوث عدوى بفيروس كورونا، تزامن ذلك مع إعلان السلطات الإسبانية عن تمكن قوات خفر السواحل الجزائرية من إحباط محاولات عدة للهجرة غير الشرعية ما سمح بتوقيف 123 شاباً كانوا بصدد الإبحار السري نحو أوروبا، وأشارت إلى أنه تم تقديم المعنيين أمام المصالح الأمنية التي قامت بالتحقيق معهم وتحويلهم إلى الجهات القضائية حيث أودعوا رهن الحبس المؤقت في انتظار مثولهم أمام المحكمة وفق ما تقتضيه إجراءات تجريم الهجرة غير الشرعية[17]، ومن التحديات التي تواجه دول افريقيا في مواجهة جائحة كورونا ازاء هذه الاوضاع هي توقع دفع حوالي 32 مليون شخص للفقر نتيجة عدم وجود مداخيل ثابتة للفئات الاجتماعية الهشة وذوي الدخل المحدود، اضافة لتوقف القطاع السياحي ففي غضون اشهر قليلة اثرت جائحة كورونا على اقتصاديات المنطقة بطريقة مباشرة، فقد تلقى قطاع السياحة الضربة الاولى مع الغاء الكثير من الرحلات والخدمات السياحية[18].

ضف لذلك تراجع العائدات النفطية المعول عليها، وهذا في مقابل ضرورة توفير ما يقارب 100 مليون دينار لقطاع الصحة والرعاية والعمل على محاولة تحفيز الاقتصاد كلها تحديات تواجه القارة الافريقية في ظل ازمة كوفيد 19،وفي ظل انتشار وباء كوفيد19 يشكل استمرار الهجرة غير النظامية في مختلف الدول الاعضاء في الاتحاد الافريقي مصدر قلق للحكومات الإفريقية، خاصة ان الظاهرة لم تتوقف كليا ولم يثن الوضع من تصاعد اعداد المهاجرين، وما زاد تفاقم الظاهرة هو انشغال قوات الامن في مجابهة فيرورس كورونا المستجد بعد ان اوكلت اليهم مهام اضافية، وهو ما خلق مناخا مناسبا للمهاجرين ولمنظمي عمليات الهجرة للعبور نحو اوروبا مستفيدين من الفراغات الامنية سواء في تونس او في ايطاليا[19] .

ثانيا: ابرز انعكاسات الهجرة غير الشرعية في ازمة كوفيد-19-

ازاء ازدياد عدد المهاجرين من مختلف الدول الافريقية لاسيما من دول شمال افريقيا نحو العديد من الدول الأوروبية[20]، ومع تعرض هذه الاخيرة لازمة الناجمة عن انتشار فيروس كورونا طرأت معطيات جديدة وانعكاسات مست حتى دول العبور، تجلت في الاستغناء عن اليد العاملة في بعض القطاعات نتيجة انتشار العمالة العشوائية غير الضرورية وذات انتاجية منخفظة، وتراجع اقتصادياتها وتدهور الاوضاع المعيشية لأصحاب الدخل الضعيف، ونوجز ابرز الانعكاسات التي مست الجانب الاقتصادي والصحي والاجتماعي والأمني في العناصر التالية:

1.على المستوى الاقتصادي

في ظل انتشار فيروس كورونا اضحى عدد وسائل الهجرة اقل مما كان عليه قبل شهرين، ومن ثم فان الاثار الاقتصادية وعدم المساواة ستزيد جميعها اليأس لدى المهاجرين،وإزاء هذا الوضع سيظطرون للحركة مستخدمين المهربين والمتاجرين وغيرهم من الجماعات غير المشروعة بشكل متزايد وستزداد الهجرة داخل وبين الدول النامية دون توثيق او فحوصات صحية، ما سيعرضهم لخطر شديد[21].

لا يفوتنا أن نشير أيضا للآثار الاقتصادية الخطيرة المتنوعة المترتبة على هذه الظاهرة، ومن بينها حالة إدماج المهاجرين ومدى الصعوبات التي تواجههم والتكيف مع مجتمعهم الجديد في الدول المستقبلة، ويزداد الأمر تعقيدا في معظم الصناعات حيث تتركز عمليات تسريح بعض العاملين نتيجة انتشار الوباء على العمال المهاجرين لان كثيرا منهم اما يحمل تاشيرة مؤقتة او انه دخل بطريقة غير قانونية، وهؤولاء سيواجهون خيارات صعبة عند الاستغناء عنهم[22]؛ حيث لا يحمل المهاجر السند القانوني لوجوده في الدولة التي هاجر إليها ما يقودهم الى محاولة العودة الى بلدانهم الاصلية التي تواجه صعوبات اقتصادية اكبر.

اذ تسبّب انتشار فيروس كورونا في تدهور المستوى الاقتصادي للقارة؛ حيث انخفض معدل النموّ من 3.2% إلى نحو 12%، كما أضرَّ سلبًا بالدول المصدّرة للنفط نتيجة انهيار أسعار النفط، حيث وصل حجم الخسائر نحو 65 مليار دولار تقريبًا؛ وتراجع عوائد إفريقيا من صادرات المحروقات إلى نحو 101 مليار دولار أمريكي، إلى جانب الخسائر الهائلة التي أصابت كلا من قطاعي السياحة والطيران[23].

والمعروف ان القارة الافريقية تعرف اقتصاديا "بالقارة المستهلكة"، والتي لا تنفك اقتصادياتها عن الارتباط بالحركة الاقتصادية العالمية؛ اذ تستورد الكثير من دوليها الغذاء والدواء بشكل كامل من الخارج،

وبهذا الارتباط الوثيق بين إفريقيا كقارة ودول العالم المصنّعة والمصدِّرة لإفريقيا، فإن مما لا شك فيه أن القارة السمراء ستتأثر سلبًا بالتطورات الاقتصادية المتسارعة، والتي أحدثها فيروس كورونا الذي يُطِلُّ برأسه من جديد على دول عدة في القارة ذاتها. وتعد دول شمال إفريقيا من الدول ذات العلاقات التجارية مع الصين وأوروبا، موطن الوباء حاليًّا، لسدِّ احتياجات أسواقها[24]، هذا بالإضافة إلى الانعكاسات المترتبة على ارتباط الدول الإفريقية باقتصاديات أوروبا والصين والولايات المتحدة المتضرِّرة من الفيروس؛ ممَّا يُؤثِّر سلبًا على التحويلات الماليَّة والإيرادات السياحية، إلى جانب فقدان الملايين لوظائفهم، وهو ما يزيد من حدة الفقر ومعدل البطالة، ويعكس تعرض الدول الإفريقية إلى ضائقة مالية حادَّة، الذي بدوره دفَع بعض الدول إلى الاقتراض من المؤسسات المالية العالمية على سبيل المثال لجوء نيجيريا والمغرب إلى الاستدانة من صندوق النقد الدولي لمواجهة تداعيات فيروس كورونا.[25]

2. على المستوى الصحي

للهجرة من افريقيا نحو اوروبا اثر حاسم على ديناميكيات تفشي الامراض والانتشار المكاني للأمراض المعدية إقليميا، وعلى العكس من ذلك يمكن ان يؤدي تفشي الامراض ايضا للهجرة؛ فعلى سبيل المثال تفشي فيروس ابولا في غرب افريقيا في ديسمبر 2013، فقد ارتبط التوسع الاقليمي لتفشي المرض في السنغال ونيجيريا بالسفر الى المناطق المتضررة حسب تقرير مجلس الامن سنة 2014 وعجل الخوف من انتشار الابولا السريع في جميع انحاء القارة والعالم من مراقبة الحدود على الحركة من والى البلدان المتضررة[26].

وعليه تنجم اثار صحية خطيرة خاصة لجهة الدول المستقبلة أكثر من دول الإرسال، وفي هذا الشأن صرح مدير وحدة الامراض المعدية في معهد البحوث والتطوير في فرنسا ان معظم الاصابات في افريقيا مصدرها اوروبا خاصة وان الحالات المشخصة اتت من اوروبا[27]، وأمام هذا الوضع يواجه ملايين اللاجئين والنازحين داخليا الذين يعيشون في مخيمات او مساكن دون الحد الادنى من شروط النظافة والصحة تكون التكلفة البشرية ساحقة اذا وصل الوباء اليهم ما لم يتم توفير لقاح فعال ضد وباء كوفيد 19، ويمكن ان تصبح العديد من المناطق في الشرق الاوسط وشمال افريقيا بؤر انتشار للفيروس الذي يسبب عزلة للمناطق المصابة عن بقية العالم لفترة طويلة من الزمن[28].

3.على المستوى الاجتماعي:

في ظل تفشي وباء كورونا المستجد نشر مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية مقالا للكاتب "ايرول ييبوك" بعنوان خمسة طرق سيغير بها فيروس كوفيد 19 الهجرة العالمية، يؤكد من خلاله انه من المحتمل ان تكون للاضطرابات المرتبطة بفيروس كورونا تأثيرات طويلة المدى على ملامح الهجرة العالمية، وهي توقف اليد العاملة المهاجرة، زيادة التفاوت العالمي، اغلاق الباب امام المهاجرين نهائيا، اضافة لمعاناة النازحين قسرا والمهاجرين غير الشرعيين[29]، وفي هذا الصدد صرح المندوب الايطالي ازاء غياب التضامن الاوروبي مع كارثة ايطاليا وهي في قلب القارة الى ان ازمة فيروس كورونا شبيهة بأزمة اللاجئين، وحسب قوله فان الدول التي لم تتاثر على الفور ليست في الغالب على استعداد لتقديم المساعدة، وانه يشعر ان فيروس كورونا يمثل تهديدا عالميا وأوروبيا يحتاج الى استجابة اوروبية[30].

4.على المستوى الامني

ان تفاقم الهجرة غير الشرعية بهذه الوتيرة في الجزائر والتنقل عبرها خاصة في ظل ازمة كوفيد19، له ابعاد خطيرة على امنها واستقرارها، وذلك بسبب ارتباط الظاهرة بعدة تهديدات أخرى ليست اقل خطورة من الوباء، ابرزها اولئك المهاجرين الضعفاء الذين يعيشون غالبا في اماكن مكتظة وفي مناطق حضرية مزدحمة مع ضعف وصول الرعاية الصحية لهم سيكونون في خطر متزايد، اذ تحدث معظم حالات انتقال العدوى في غياب الاحتياطات الخاصة بالوقاية من العدوى ومكافحتها قبل الاشتباه في حالة محددة او التأكد منها، لذا فان التطبيق الروتيني للتدابير الرامية للوقاية من انتشار الفيروس يعد ضروريا من اجل الحد من انتشاره[31].

هذا وتحولت دور العبور كالجزائر وتونس وليبيا بحكم الواقع الى مناطق استقرار المهاجرين السريين العابرين في الأصل، وبالتالي اصبحت دولا مستقبلة للهجرة الامر الذي ينجم عنه الكثير من الانعكاسات السلبية وهذا في غياب رؤيا وإستراتيجية محكمة محلية كانت او اقليمية لتطويق الظاهرة واحتوائها[32].

ثالثا: استراتيجيات الحد من ظاهرة الهجرة غير الشرعية للوقاية من فيروس كورونا

ان تهديد الهجرة غير الشرعية لا يتوقف على ما يسربه المهاجرون غير الشرعيون الى داخل دول الاستقبال والعبور من الاتجار غير مشروع وتهريب[33]، وإنما يتمد لأكثر من ذلك في ازمة انتشار كوفيد 19

فسيزداد اعداد المصابين بشكل منقطع النظير بل ان تداعيات انسانية خطيرة تنجم عن هذه الكارثة الصحية التي تهدد النسق الاجتماعي والإقليمي في ظل انعدام وسائل الوقاية[34].

سواء كان انتشار الوباء على نطاق ضيق او واسع فلن تسلم منه إفريقيا وستكون فى أشد الحاجة إلى مزيد من التعاون الدولى من جانب الدول المتقدمة التى لديها مقدرة أكبر على مواجهة الأزمة وتجاوزها، لأن هذه الجائحة الخطيرة تهدد حياة الإنسان من جميع الجوانب الصحية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية.

ولن يستطيع العالم ومنظماته الدولية أن يتجاهل ضرورة وأهمية هذا التعاون نظرا لترابط وتشابك وتداخل المصالح المشتركة بين الدول المتقدمة والدول الإفريقية فى جميع الأنشطة الاقتصادية والتجارية والاستثمارات)[35].

ومنعا لانتشار وباء كورونا اتخذت دول شمال افريقيا خططا استراتيجية وتدابير احترازية، وذلك بعد تزايد ملحوظ لأعداد المصابين بالمرض[36]، ابرزها تعليق الرحلات الدولية والمحلية بمجرد ان رأت اثار الوباء على بلدان اخرى اتخذت دول الشرق الاوسط ودول شمال افريقيا بعضا من اشد تدابير العزل والاحتواء؛ اذ تشمل هذه التدابير اغلاق الحدود، وإلغاء الرحلات الجوية، وإيقاف خطوط الطيران وحجر السكان في منازلهم، وإغلاق اماكن العبادة وحظر الصلوات الجماعية وتعليق تصاريح العمل للأجانب، وإعادة السياح الى بلدانهم، اضافة الى فرض اشكال من حظر التجول في عدة دول، مثل حظر التجول الليلي في تونس منذ 18 مارس/اذار، وفي مصر والجزائرايضا، ومن المتوقع ان تزداد اجراءات الاحتواء على المدى القصير مع انتشار الوباء في العالم[37]، في الوقت نفسه نشير الى الصعوبات التي تواجهها الدول ازاء ملف الهجرة غير الشرعية هو انعدام التعاون الدولي على الرغم من اهميته بالنظر للآثار السلبية المترتبة عن الهجرة السرية في وقت انتشار فيروس كورونا المستجد، إلا أنه بات يلقى الاهتمام لدى كل الدول الافريقية والأوروبية تفاديا لما يترتب عليها من اضرار، وتبعا لذلك فإن التعاطي مع ظاهرة الهجرة غير الشرعية عموما ومحاولة التغلب عليها من خلال اتباع المعالجات الأمنية الردعية بات امرا حتميا[38].

وتبذل مصر ودول شمال إفريقيا والدول الإفريقية الأخرى التى وصلت إليها جائحة كورونا أقصى ما يمكن للتصدى للجائحة ومحاصرتها فى أضيق نطاق، مع التفاوت الكبير فى الإمكانيات المتاحة بين شمال إفريقيا وجمهورية جنوب إفريقيا وما لديهم من مواد طبية وأطقم أطباء وتمريض، وبين الدول الأخرى التى

رصدت منظمة الصحة العالمية منها عشر دول لا يتوافر فيها أى أجهزة تنفس صناعى. ويقع عبء كبير على المنظمة لتقديم كل المساعدات الممكنة للدول الإفريقية لمواجهة انتشار الجائحة[39].

1. استراتيجية الجزائر في التصدي للهجرة غير الشرعية في مواجهة فيروس كورونا

تعتبر الجزائر ان مناقشة مسالة الهجرة غير الشرعية يجب ان تتم في اطار الاتحاد الافريقي كونها تؤيد المقاربة الافريقية[40]، لكنها عملت على تبني استراتيجية ذات ابعاد وقائية وأمنية وتشريعية[41]، لتأمين حدودها من خلال فرض مجموعة من الاجراءات وتشريع اليات قانونية لمواجهة هذه الظاهرة[42] ،خاصة في ظل تفشي الوباء وازدياد اعداد الاصابات بصورة كبيرة في الاونة الاخيرة،فاعتمدت الجزائر بروتوكول علاج فيروس كورونا "الكلوروكين" الذي أظهر فعاليته في علاج بعض المصابين، غير أنّ منظمة الصّحة المقرة لفاعلية دواء الملاريا ما زالت متمسكة بالإجراءات الاستباقية للتباعد الاجتماعي، والتي ترتب عنها اختلالات اجتماعية وخسائر اقتصادية ضخمة بالعالم، حيث أعلنت دول كثيرة تمديد الحجر الصّحي كإجراء وقائي[43]، ونتيجة لزيادة تداعيات الهجرة غير الشرعية على الامن الجزائري، عملت الجزائر على اتباع استراتيجية قانونية لمواجهة الهجرة[44]، وذلك بتطبيق احكام القانون رقم 11/08[45] القانون رقم 11/08 المتعلق بدخول الاجانب الى الجزائر وإقامتهم وتنقلهم فيها، الذي ينص على "معاقبة المهاجر غير الشرعي الاجنبي بالحبس من 06 ستة اشهر الى 02 سنتين، وبغرامة مالية من 10.000دج الى 30.000دج اضافة الى تكليف السلطات المختصة بالمراقبة على مستوى مراكز الحدود وان ترفض دخول الاجنبي الى اراضيها."

اضافة لما تنص عليه المادة 175 مكرر01:" دون الاخلال بالأحكام التشريعية الاخرى السارية المفعول، يعاقب بالحبس من 02 شهرين الى 06 أشهر وبغرامة من 20.000دج الى 60.000دج، او بإحدى هاتين العقوبتين كل جزائري او اجنبي مقيم يغادر الاقليم الوطني بصفة غير شرعية اثناء اجتيازه احد مراكز الحدود البرية او البحرية او الجوية وذلك بانتحاله هوية باستعمال وثائق مزورة او أي وسيلة احتيالية اخرى للتملص من تقديم الوثائق الرسمية اللازمة او من القيام بإجراءات التي توجبها القوانين والأنظمة السارية المفعول، وتطبق نفس العقوبة على كل شخص يغادر الاقليم الوطني عبر منافذ او اماكن غير مراكز الحدود"، وحراس السواحل فهي مصلحة تابعة لوزارة الدفاع الوطني تتكفل اساسا بحراسة الشواطئ وحمايتها من كل محاولات التهريب البحري، حيث تقوم بتدخلات واحباط كل محاولات التهريب للاشخاص والسلع وتضمن الحراسة للبواخر الاجنبية[46].

هذا زيادة على تشديد الرقابة الحدودية من خلال تتبع وحدات امنية مختصة انشات لهذا الغرض، نذكر مجموعة حراس الحدود تابعة للجيش الوطني الشعبي تعمل على طول الحدود البرية الجزائرية، وتضمن الحراسة الدائمة بفضل وجود وحدات حراسة راجلة وأخرى متنقلة، تقوم بملاحقات وإفشال كل محاولات التهريب[47]، وانشاء الديوان المركزي لمكافحة الهجرة غير الشرعية، وهو جهاز مركزي للقيادة والتنسيق بين مختلف الفرق الجهوية في الولايات الحدودية للتحري بصفته مؤسسة للاشراف والتنسيق تعمل على مكافحة خلايا وشبكات الدعم التي تساعد على ايواء الاجانب الذين هم في حالة غير شرعية، مكافحة تزوير الوثائق المرتبطة بالهجرة والإقامة غير الشرعية، وضع استراتيجية وقائية وردعية للهجرة غير الشرعية[48].

4. خاتمة:

ابرز واقع انتشار فيروس كورونا المستجد صعوبة السيطرة على حركة الحدود وبين القارات وأصبحت الهجرة غير الشرعية ظاهرة تؤرق الكثير من دول العالم، نظرا لهشاشة الحياة البشرية والوضع الصحي المتأزم الذي لم يشكل عائقا بالنسبة للمهاجرين غير الشرعيين، ما زاد من تنامي الرغبة لدى الشباب في الهجرة على الرغم من تحول الدول الاوروبية الى بؤر وباء وارتفاع الاصابات في ظل هذه الازمة، والظروف الاقتصادية الصعبة والتوقعات بفقدان مناصب عملهم في مجالات الفلاحة والصناعة والتجارة هذا من جهة، ومن جهة اخرى عادة ما يستفيد المهاجرون من الفراغات التي تحدثها الازمات لتحقيق الرغبة في الهجرة مستغلين فترة انشغال الجميع شعبا وحكومة بالأزمة لتنفيذ مقاصدهم.

ورغم المساعي والجهود الدولية للحد من الهجرة في الوقت الحالي واتخاذ جملة من التدابير والاجراءات الامنية على مستوى الحدود، مازالت فكرة الهجرة منتشرة على نطاق واسع، ومن خلال معالجة موضوع الدراسة توصلنا الى انه وإزاء هذا الوضع تسعى دول شمال افريقيا ودول العبور لمواجهة الهجرة غير الشرعية تفاديا لازمات اخرى ومضاعفات تعود عليها جراء ازمة فيروس كورونا-كوفيد19- عن طريق اغلاق حدودها والموانئ والملاحة كحل لهذه الكارثة.

وفي الختام نؤكد على ضرورة تكاتف الجهود لمواجهة الظاهرة للوقاية من انتشار فيروس كورونا المستجد، وهذا لا يتحقق الا من خلال:

- تشديد الجانب الامني على الحدود البرية والبحرية لمراقبة حركة الهجرة غير الشرعية، والتركيز على معرفة هوية الاشخاص المهاجرين عبر مراقبة مدى صحة وثائقهم.
- الاهتمام بالجانب الاجتماعي والقضاء على مظاهر الفقر والحرمان خاصة بالنسبة للأشخاص عديمي الدخل خاصة في ازمة كوفيد 19.
- تنسيق الجهود الدولية لمكافحة الهجرة غير شرعية لعرقلة انتشار الوباء واضعافه للتقليل من انعكاساته على كل الدول.
- فتح المجال أمام فئة الشباب للعمل وإتاحة الفرصة لتحقيق حياة كريمة ومنحهم الفرص لإثبات كفاءاتهم ودعمهم اكثر عبر مساعدات مادية تمكنهم من العيش، الأمر الذي من شأنه أن يزيد من ارتباط الفرد بوطنه بدل فكرة الهجرة.

5- الهوامش

[01]- بوكرمة اغلال فاطمة الزهراء، اسباب الهجرة غير الشرعية للكفاءات والأدمغة الجزائرية من وجهة نظر الطلبة الجزائريين، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد التاسع.، ديسمبر 2002 ص.102

[02]- فول مرا،تأثير ظاهرة الهجرة غير الشرعية على الامن المجتمعي الجزائري، المجلة الجزائرية للدراسات السياسية، مجلة دورية علمية محكمة تعنى بالدراسات والبحوث الخاصة بالعلوم السياسية، تصدر عن المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية، العدد السابع، جوان،2017 ص.31.

[03]- هشام بشير،الهجرة العربية غير الشرعية الى اوروبا، اسبابها، تداعياتها، سبا مواجهتها، مجلة السياسة الدولية، مركز السياسات والاستراتيجية، العدد 17،2010،ص.119.

[04]- بخوش صبيحة، الهجرة غير الشرعية وتداعياتها على منطقة شمال إفريقيا الجزائر نموذجا، مجلة الدراسات الافريقية وحوض النيل، الصادرة عن المركز الديمقراطي، المجلد الأول، العدد الاول، مارس 2018، ص.292.

[05]- الطاهر برايك، الجهود التشريعية لدول شمال افريقيا في مجال مكافحة الهجرة غير الشرعية ، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، مجلة دورية دولية محكمة، العدد 13، ص.118.

[6]-بخوش صبيحة، مرجع سابق، ص292..

[07]- صايش عبد المالك، التعاون الاورومغاربي في مجال مكافحة الهجرة غير القانونية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير، تخصص القانون الدولي والعلاقات الدولية، كلية الحقوق، جامعة باجي مختار عنابة،2007،2006، ص.39.

[08]- الوباء العالمي (الجائحة) كوفيد 19، يستخدم وصف الوباء العالمي او الجائحة (pandemic)، لوصف الامراض المعدية عندما نرى تفشيا واضحا لها وانتقالا من شخص الى اخر في عدد من البلدان في العالم نفسهن ويرجح حدوث الوباء العالمي اذا كان الفيروس جديدا ولم تسبق الاصابة به ما يتسبب في تفشي عدواه بين الناس سريعا فضلا عن امكانية انتقاله

من شخص الى اخر بطريقة مؤثرة ومستمرة، انظر فيروس كورونا لماذا صنفته منظمة الصحة العالمية وباءا عالميا، موقع Bbc.com ، تاريخ الاطلاع 2020/15/12.

[09]- احمد الطاهر، افريقيا في مواجهة كورونا خبرات سابقة ومخاطر قادمة، القارة السمراء بيئة خصبة لانتشار الاوبئة والفيروسات، تاريخ النشر 14 افريل2020، تاريخ الاطلاع 2020/07/01، الموقع الالكتروني https://arb.majalla.com/node/85571

[10]- محي الدين حسين، كورونا قلب الحلم الى كابوس، مهاجرون مغاربة يفرون من اسبانيا، تاريخ النشر2020/04/05، تاريخ الاطلاع 2020/07/01، على الساعة 19:07، الموقع الالكتروني https://www.infomigrants.net/ar/post/24514

[11]- عادل ابو بكر طلحي، الشباب وظاهرة الهجرة غير الشرعية الى اوروبا، ورقة عمل مقدمة ضمن اعمال مؤتمر الشباب والهجرة، ص.12.

[13]-يحي زبير، انا جاكوب، هل سيغير فيروس كورونا المستجد النظام السياسي في الجزائر، تاريخ النشر 2020/05/10، تاريخ الاطلاع 2020/07/01، على الساعة 20:05، الموقع الالكتروني https://www.brookings.edu/ar/opinions

[14]-بوكرمة اغلال فاطمة الزهراء، مرجع سابق، ص ص. 02.03.

[15]- علي ياحي، عودة الهجرة غير الشرعية نحو اوروبا تزعج الجزائر، تاريخ النشر2020/07/02، تاريخ الاطلاع 2020/07/05، على الساعة 19:20، الموقع الالكتروني https://www.independentarabia.com/node/132076

[16]- الشافعي ابتدون، كورونا في القرن الافريقي، ابعادها الاقتصادية وتداعياتها الانسانية المحتملة، تاريخ النشر 2020/04/07، تاريخ الاطلاع 2020/07/03، الموقع الالكتروني https://studies.aljazeera.net/ar/article/4636

[17]-ياحي زبير، انا جاكوب، مرجع سابق، دون ذكر رقم الصفحة.

[18]- هيثم عميرة فرناندث،فيروس كورونا في الدول العربية، عاصفة عابرة، فرصة للتغيير ام كارثة اقليمية؟، قسم المتوسط والعالم العربي في معهد الكانو الملكي للدراسات الدولية والاستراتيجية في مدريد، افريل.2020، دون ذكر رقم الصفحة.

[19]- زينب مصطفى رويجه، دور الاتحاد الافريقي في ظل ازمة كورونا، تاريخ النشر 2020/06/04، تاريخ الاطلاع 2020/07/04 على الساعة 15:00 الموقع الالكتروني https://www.qiraatafrican.com/home/new/

[20]- خديجة بتقة،(2018)، الامننة الاوروبية للهجرة غير الشرعية وانعكاسها على سياسات دول شمال افريقيا، المغرب والجزائر نموذجا، مجلة الدراسات الافريقية وحوض النيل، المركز الديمقراطي العربي، المجلد الاول، العدد الثاني، ص.48.

[21]- باسم راشد، اتجاهات تأثير وباء كورونا على الهجرة العالمية، مقال منشور على موقع المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، تاريخ النشر 2020/04/07، الموقع الالكتروني

www.futureuae.com. //https

[22]–باسم راشد، مرجع سايق، دون ذكر رقم الصفحة.

[23]– زينب مصطفى رويجه، دور الاتحاد الافريقي في ظل ازمة كورونا، تاريخ النشر 2020/06/04، تاريخ الاطلاع 2020/07/04 على الساعة 15:00 الموقع الالكتروني
https://www.qiraatafrican.com/home/new/

[24]– الشافعي ابتدون، كورونا في القرن الافريقي، ابعادها الاقتصادية وتداعياتها الانسانية المحتملة، تاريخ النشر 2020/04/07، تاريخ الاطلاع 2020/07/03، الموقع الالكتروني
https://studies.aljazeera.net/ar/article/4636

–[25]– زينب مصطفى رويجه، دور الاتحاد الافريقي في ظل ازمة كورونا، تاريخ النشر 2020/06/04، تاريخ الاطلاع 2020/07/04 على الساعة 15:00 الموقع الالكتروني
https://www.qiraatafrican.com/home/new/

–[26]– اتجاهات ودوافع الهجرة في الجنوب الافريقي، المركز الاوروبي لدراسات مكافحة الارهاب والاستخبارات ECC، تاريخ الاطلاع 2020/06/22. الموقع الالكتروني
https//،www.europarabct.com

[27]– طاهر هاني، افريقيا تحت تهديد وباء فيروس كورونا، فرانس 24، تاريخ الاطلاع 2020/06/27. الموقع الالكتروني
https France24.com

[28]–هيثم عميرة فرناندث، مرجع سابق، دون ذكر رقم الصفحة.

[29]–المرجع نفسه.

[30]– محمد الشرقاوي، التحولات الجيوسياسية لفيروس كورونا وتأكل النيوليبيرالية، الجزء الأول، 2020.

[31]– الوقاية من العدوى ومكافحتها، اثناء الرعاية الصحية لحالات الاصابة المحتملة او المؤكدة بعدوى فيروس كورونا المسبب لمتلازمة الشرق الاوسط التنفسية، منظمة الصحة العالمية،2015، ص.01.

[32]–بخوش صبيحة، مرجع سابق، ص.06.

[33]–الطاهر برايك، مرجع سابق، دون ذكر رقم الصفحة.

[34]–الشافعي ابتدون، مرجع سابق، ص.08.

[35]–رضا احمد حسن، مخاطر ازمة كورونا على الشعوب الافريقية، تاريخ النشر2020/05/03، تاريخ الاطلاع 2020/07/04، على الساعة 12:00، الموقع الالكتروني
https://www.shorouknews.com/columns/view.aspx?cdate=03052020&id

–[36]–ابتدون الشافعي، مرجع سابق، ص25.

–[37]–فرناندث هيثم عميرة، مرجع سابق، دون ذكر رقم الصفحة.

[38]– عادل ابو بكر طلحي، مرجع سابق، ص .ص42.43.

[39]– رضا احمد حسن، مخاطر ازمة كورونا على الشعوب الافريقية، تاريخ النشر2020/05/03، تاريخ الاطلاع 2020/07/04، على الساعة 12:00، الموقع الالكتروني
https://www.shorouknews.com/columns/view.aspx?cdate=03052020&id

-احمد برايك، مرجع سابق، ص.305.[40]

-بخوش صبيحة، مرجع سابق، ص.44.[41]

[42]– يوسفات على هاشم، بن الطيبي مبارك، الاليات القانونية لمكافحة الهجرة غير الشرعية ، قراءة تحليلية للنصوص الداخلية والدولية، مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية، المجلد رقم 08، العدد الاول، 2019، ص.342.

[43]– نور الدين قدور رافع، الجزائر واجراءات احتواء فيروس كورونا، تاريخ النشر 2020/04/19، تاريخ الاطلاع 2020/04/04، على الساعة 20:03، الموقع الالكتروني
https://www.aljazeera.net/blogs/2020/4/19

[44]– بوحادة سارة،تداعيات الهجرة غير الشرعية على الامن الجزائري، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة، العدد الاول، فيفري، 2020، ص.11.

–[45]– القانون رقم 11/08 المتعلق بدخول الاجانب الى الجزائر وإقامتهم وتنقلهم فيها.

[46]–الاخضر عمر الدهيمي، دراسة حول الهجرة السرية في الجزائر، الندوة العلمية حول التجارب العربية في مكافحة الهجرة غير الشرعية، جامعة نايف للعلوم الأمنية، المملكة العربية السعودية، الرياض،2010/02/08، ص10.

[47]–بوحادة سارة، مرجع سابق، ص.149.

[50]–احمد رضا، مرجع سابق، دون ذكر رقم الصفحة.